

التعبير الإشاري في قصيدة " البدو و الحضر " للأمير عبد القادر- مقارنة تداولية
The indicative expression in the poem "Bedw and Hadr" by Emir
Abdelkader-pragmatic approach

د/ أسماء بن عيسى

Dr.Asma Benaissa

جامعة بلحاج بوشعيب لعين تموشنت

البريد الإلكتروني: benisafasmaa@gmail.com

رقم الهاتف: 06-67-47-41-70

تاريخ النشر: 2021-06-21	تاريخ القبول: 2021-04-23	تاريخ التحكيم: 2021-02-26	تاريخ الإرسال: 2020-09-05
-------------------------	--------------------------	---------------------------	---------------------------

ملخص البحث

تستأنس هذه الورقة البحثية، التي نضعها بين يدي القارئ الباحث بالمقارنة التداولية في فك شفرة الخطاب الشعري الحديث، في ظل الانفتاح الكبير، الذي شهده النقد المعاصر على مختلف المعارف، لاسيما اللسانية منها؛ في سبيل الاقتراب من النصوص واستكناه مضامينها الخفية.

فقد حققت التداولية ولا تزال الغاية التي من أجلها قد تأسست، والتي تتلخص أساسا في النظر إلى الخطاب، ضمن أفقه التواصلية الإنجازي، ومن ثم ما يتيح استثمار معطيات هذا الحقل اللساني، في الظفر بالدلالة الكامنة وراء النص الأدبي، بناء على الاعتداد بالظروف المحيطة به؛ من المنتج، و المتلقي، وعناصر السياق، التي تحيط بعملية إنجازها و أدائه.

ولعل من أبرز المفاهيم ما يعرف بالتعبير الإشاري، ضمن تداولية الدرجة الأولى، حيث اخترنا له قصيدة " البدو و الحضر " للأمير؛ بغية الوقوف على فعاليته. ومنه يتأسس التساؤل المعرفي الآتي: ما المراد بالتعبير الإشاري، وما هي تجلياته في القصيدة الأنموذج؟ وكيف يسهم في تحليلها؟ .

الكلمات المفتاحية: تداولية، تعبير إشاري، قصيدة الأمير.

Abstract:

This research paper, which we put in the hands of the researcher reader, becomes acquainted with the deliberative approach in deciphering the modern poetic discourse, in light of the great openness that contemporary criticism has witnessed on various knowledge, especially linguistics. In order to get close to the texts and conceal their hidden contents.

It has achieved deliberative action and is still the goal for which it was established, which is mainly summarized in looking at the discourse within its communicative and fulfilling horizon, and thus allows the data of this linguistic field to be invested in winning the underlying significance of the literary text, based on the consideration of the circumstances surrounding it. Of the producer, the recipient, and the contextual elements surrounding its delivery and performance.

Perhaps one of the most prominent concepts is what is known as the indicative expression, within the first degree deliberation, where we chose for it the poem "Bedw and Hadr" by the Emir, in order to determine its effectiveness. And from it the following epistemological question is established: What is meant by the indicative expression, and what are its manifestations in the model poem? How does it contribute to its analysis? .

التعبير الإشاري في قصيدة "البدو والحضر" للأمير عبد القادر مقاربة تداولية

د: أسماء بن عيسى - جامعة بلحاج بوشعيب عين تموشنت - (الجزائر)

Kays words : pragmatic . Indicative expression. Poem Prince.

أولا/ ضبط مفاهيم الدراسة:

سنتناول في هذا الجزء الأول التنظيري بعض المفاهيم المهمة، التي هي بمثابة مفاتيح للدراسة، إذ يتعلّق الأمر بالتداولية، وكذا التعبير الإشاري؛ بغية تهيئة الأرضية نحو الجانب التطبيقي في الشق الثاني.

1/ ماهية التداولية:

رغم الظهور المتأخر للتداولية في ساحة اللسانيات الحديثة، إلا أنها استطاعت أن تصنع لنفسها مكانا تزامم به التيارات اللسانية الكبرى، لتشق طريقها هي الأخرى بثبات نحو الأدب، نظرا لما تقدّمه للقارئ من إجراءات مهمة، تسعفه في عملية تحليل الخطابات الأدبية، وسبر أغوارها العميقة.

وإن قمنا بالبحث والتقصي عن كيفية ظهور هذا المبحث اللساني، الذي تبلور مع سبعينيات القرن الماضي، فإنّ المسألة واضحة، ذلك أن التداولية قد نشأت نتيجة الثورة على البنيوية، باعتبار الأخيرة قد أحدثت قطيعة تامة بين العلامات اللغوية وغير اللغوية، في حين قد أعادت الأولى اللحمة بين البنية التحوية الكامنة في اللغة واستعمالها في العملية التواصلية¹.

بيد أنّ إشكال المعرفة في تعدد المصطلح الأجنبي *pragmatique*، فضلا عن المفهوم، إذ إنّ من الصّعوبة بمكان إعطاء تعريف دقيق للتداولية، وهذا يرجع إلى اتساع دائرة اهتمامها، فهي محط عناية اللساني و السيميائي و السيولوجي وغيرهم. وعليه ما حدا ببعض الدارسين إلى التعبير عن الغموض الذي يعتريها من بينهم الباحثة كاترين أوركويوني، حيث تقول في هذا الصدد: "هل يمكن القول أولا: التداولية أو التداوليات هل هي تخصص أو ملتقى تخصصات مختلفة؟"².

بيد أن ما يعيننا في هذا المقام هو التداولية في إطار لساني، ولعلّ أبرز تعريف، ضمن هذا المنحى هو أنّها: "مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسيّاقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها" الخطاب"، والبحث عن العوامل التي تجعل من "الخطاب" رسالة تواصلية "واضحة" و "ناجحة"³.

نستشف إذن، من التعريف أن هذا العلم، يعني بدراسة الظواهر اللغوية أثناء الاستعمال، أي الاتصال بين الباث والمتلقي أو المرسل والمرسل إليه في مقام تخاطبي معين، مما يعني أنها قد أعادت الاعتبار لقضية السيّاق *contexte* في الدراسات اللسانية الحديثة.

فهذا الأخير يتوزع على ثلاث درجات ضمن الحقل التداولي: أولها الدرجة موضوع الدراسة، التي تمثلها المعينات الإشارية و مختلف نظريات التلفظ، ثم الدرجة الثانية، التي تعني بمدى ارتباط الموضوع المعبر عنه بملفوظه؛ أي دراسة حجم ما يبلغه المتكلم من دلالات في الملفوظ الذي يؤدي ذلك، ومدى نجاحه و إخفاقه⁴.

أما الدرجة الثالثة، فهي مخصوصة بالأفعال الكلامية، التي تتركز على فكرة أن الأقوال الصادرة تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية.

و عليه، فإن التداولية تقوم على عدة أسس أبرزها السياق والفعل، اللذين أسهما على الأقل في انتشارها، حتى لا نبدي حكما يجرّنا إلى القطعية، ذلك أن هناك نداءات عدة بعدم صلاحية هذا المنهج من بين المناهج.

التعبير الإشاري في قصيدة "البدو والحضر" للأمير عبد القادر مقاربة تداولية

د: أسماء بن عيسى - جامعة بلحاج بوشعيب عين تموشنت - (الجزائر)

و لكن شفيعا واحدا كما يذهب خليفة بوجادي " قد يجعل هذه النداءات تخفت (...)، و هو أن لغة النص الأدبي عموما وكل الأعمال الفنية، يبقى فيها شيء من الكلام، و تحمل كثيرا من ذات المتكلم بها، مهما أغرقت في الصفة الفنية، واجتهدت في البروز بالموضوعية و الابتعاد عما يصفها بالذاتية، و عما يمكن أن يشير إلى مميزات فردية تتعلق بصاحبها"⁵. وتبقى قيمة التداولية للأدب عموما؛ في كونها تحقق له عدة مميزات، تنقله من الاهتمام بمستويات الصياغة اللفظية والنصية إلى إيلاء الاهتمام بالحدث الأدبي، وما يرتبط به من الاتصال الاجتماعي، مما يطور الرؤية المقارباتية له. ولعل أبرز تلك المميزات أنه خطاب سياقي، وتواصل ذي مقاصد، كما أنه خطاب حوار، وعمل لغوي مخصوص.

2/ ماهية التعبير الإشاري:

يجدر بنا قبل تعريف مصطلح "التعبير الإشاري" أن نفكك تركيبه، وذلك من خلال الوقوف عند مفهوم الكلمتين المشكلتين له. فالتعبير عند لويس يلمسيلف Louis Hjelmslev هو "كل رسالة إبلاغية تتضمن، في نفس الوقت تعبيراً ومضموناً أي يمكن أن تعالج من زاوية الدال (التعبير)، وأزواية المدلول (المضمون)"⁶.

وفيما يخص الإشارة (deixis) فهي "مفهوم لساني يجمع كل العناصر اللغوية التي تحيل مباشرة على المقام من حيث وجود الذات المتكلمة أو الزمن أو المكان، حيث ينجز الملفوظ و الذي يرتبط به معناه"⁷.

عودا على بدء للمصطلح المركب، الذي قام بتوظيفه العالم اللساني الدانمركي بار هليل Bar-Hillel، فهو "مصطلح يطلق على الصيغ اللغوية التي تستعمل للقيام بالإشارة بوساطة اللغة، وتسمى الإشارات، وتشمل: الضمائر بأنواعها وأسماء الإشارة وظروف الزمان والمكان والصيغ الانفعالية (النداء والتعجب) وأسماء القرابة، وهي علامات لغوية لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب التداولي"⁸.

وللإشارة فإن هذا المصطلح تقابله مصطلحات أخرى تؤدي الدلالة نفسها، حيث نذكر منها المعينات déictiques والقرائن المدججة أو الواصلة Embrayeurs كما عند رومان جاكيسون والوحدة الإشارية index عند بيرس، أو المؤشر indicateur أو دليل التللفظ indice de l'énonciation أو القرائن الإشارية... الخ⁹. وهي جميعها تنضوي تحت ما يطلق عليه تسمية المقاربة التللفظية أو الإشارية أو القرائنية أو سميوطيقا التللفظ، وهنا نطرح التساؤل الآتي: ماذا تعني هذه المقاربة في الدرس التداولي؟.

إجابة عن التساؤل نقول بأن المقاربة التللفظية هي التي تهدف إلى "دراسة الخطاب الشعري في ضوء المعينات الإشارية، أوقراءها من خلال القرائن اللغوية، أومقاربتها عبر المؤشرات التللفظية التي تحدد سياق الملفوظ اللغوي واللساني"¹⁰.

و من ثم نستخلص بأن هذا المفهوم منوط بالوظيفة المرجعية fonction référentielle، إذ لا يمكن دراسة المعنى بدون تحديد المرجع، حيث تحدد هذه العناصر الخطائية سياق التواصل والتللفظ، سواء أكان سياقاً شخصياً أم مكانياً أم زمانياً.

ثانيا/ الجانب التطبيقي:

لئن كنّا في الشق الأول قد تطرقنا للمفاهيم النظرية، فإننا في هذا الشق الثاني سنقوم بتطبيق مفهوم التعبير الإشاري على "البدو والحضر" للأمير عبد القادر الجزائري مثلما ورد في العنوان، حيث سنستله بعرض الأبيات، ثم نتقل بعدها إلى التّشريح التطبيقي لها.

أ/ نص القصيدة:

يقول الأمير عبد القادر ما نصّه¹¹:

التعبير الإشاري في قصيدة "البدو والحضر" للأمير عبد القادر مقاربة تداولية

د: أسماء بن عيسى - جامعة بلحاج بوشعيب عين تموشنت - (الجزائر)

يا عاذراً لا مريئ قد هام في الحضر	وعاذلاً لمحِبّ البدو والقفر
لا تدممن بيوتاً خفّ حملها	وتمدحن بيوت الطّين والحجر
لو كنت تعلم ما في البدوت عذري	لكن جهلت وكم في الجهل من ضرر
أو كنت أصبحت في الصحراء مرتقياً	بساط رمل به الحصباء كالدرر
أوجلت في روضة قد راق منظرها	بكل لون جميل شيق عطر
تستشقن نسيماً طاب منتشقا	يزيد في الروح لم يمرر على قدر
أو كنت في صبح ليل هاج هاتنه	علوت في مرقب أوجلت بالنظر
رأيت في كل وجه من بساطها	سرباً من الوحش يرعى أطي الشجر
فيا لها وقفة لم تبق من حزن	في قلب مضنى ولا كذا لذي ضجر
نباكر الصّيد أحيانا فنبغته	فالصيد منا مدى الأوقات في دعر
فكم ظلمنا ظليما في نعمته	وإن يكن طائرا في الجو كالصقر
يوم الرّحيل إذا شدّت هوادجنا	شقائنا عمّها مزّن من المطر
فيها العذارى وفيها قد جعلن كوى	مرقعات بأحداق من الحور
تمشي الحداة لها من خلفها زجل	أشهى من النّاي والسّنطير والوتر
ونحن فوق جباد الخيل نركضها	شليلها زينة الأكفال والخصر
نطارد الوحش والغزلان نلحقها	على البعاد وما تنجومن الضمر
نروح للحبي ليلا بعدما نزلوا	منازلاً ما بها لطخ من الوضر
ترايبها المسك بل أنقى وجاد بها	صوب الغمام بالآصال والبكر
نلقى الخيام وقد صفّت بها فعدت	مثل السّماء زهت بالأنجم الزّهر
قال الألى قد مضوا قولاً يصدّقه	نقل وعقل وما للحق من غير
الحسن يظهر في بيتين رونقه	بيت من الشعر أويّت من الشعر
أنعامنا إن أت عند العشيّ تخل	أصواتها كدويّ الرّعد بالسّحر
سفائن البرّ بل أنجى لراكبها	سفائن البحر كم فيها من الخطر
لنا المهارى وما للريم سرعتها	بها وبالخيل نلنا كل مفتخر
فخيلنا دائما للحرب مسرجة	من استغاث بنا بشّره بالظفر
نحن الملوك فلا تعدل بنا أحداً	وأيّ عيش لمن قد بات في خفر
لا نحمل الضّيم ممن جار نتركه	وأرضه وجميع العزّ في السّفر
وإن أساء علينا الجار عشرته	نبين عنه بلا ضرر ولا ضرر

التعبير الإشاري في قصيدة "البدو والحضر" للأمير عبد القادر مقاربة تداولية

د: أسماء بن عيسى - جامعة بلحاج بوشعيب عين تموشنت - (الجزائر)

نبيت نار القرى تبدولطارقتنا	فيها المداواة من جوع ومن خصر
عدونا ما له ملجا ولا وزر	وعندنا عاديات السبق والظفر
شرابها من حليب ما يخالطه	ماء وليس حليب التوق كالبقر
أموال أعدائنا في كل آونة	نقضي بقسمتها بالعدل والقدر
ما في البدواة من عيب تدم به	إلا المروءة والإحسان بالبدر
وصحة الجسم فيها غير خافية	والعيب والداء مقصور على الحضر
من لم يمت عندنا بالطعن عاش مدى	فنحن أطول خلق الله في العمر

ب/ التّشريح التّطبيقي للقصيدة وفق المقاربة التداولية (التعبير الإشاري):

تتضمن قصيدة "البدو و الحضر" خمسة وثلاثين بيتا شعريا منظوما على بحر البسيط، في شكل لوحة جمالية رائعة، تحمل في فحواها الانتصار المبجل، الذي سجله الأمير لحساب بيئته العربية الأصيلة، التي نسجت خصاله، وأملت عليه قيمه الخلقية والخلقية.

وقمين بالذكر أنه نظم هذه الأبيات في قصر "أمبواز" بفرنسا لما حضر مناظرة بين مثقفين يُفضّل أحدهما الحياة البدوية ورومنسيتها، بينما يفضل الآخر حياة المدن وبرجوازيته¹².

والقارئ الحصيف سيدرك للوهلة الأولى بأن المسألة ليست قضية مفاضلة بين بدو وحضر، وإنما تمتدّ إلى العمق لتعبّر عن الصراع القائم بين حضارتين الفارق بينهما جمالي في مظهره، سياسي حضاري في خطابه العميق؛ فالإطار العام للقصيدة يأخذ فاعليته من الموقف الذي تتقابل فيه حضارتان إحداها شرقية حافلة بالمروءة، والشهامة، والعدل، والانشراح، والأخرى غربية عامرة بالكبرياء والهيمنة والقهر¹³.

بعد أن وقفنا على السياق العام الذي يحكم القصيدة فإننا نصل إلى تحليلها باستثمار المعطى التداولي المتمثل في التعبير الإشاري، ولعلّ احتشادها بـ "المعينات الإشارية" على نحو لافتٍ للانتباه كان سببا في اختيارها، إذ سنقسم عملنا إلى مطلبين هما الإشارات التواصلية الذاتية، والإشارات السياقية.

1/ الإشارات التواصلية الذاتية:

تنقسم الإشارات التواصلية الذاتية إلى إشارات الذات أو المرسل، وإشارات المخاطب أو المرسل إليه، مما يعني أنّ ثمة قرائن إشارية دالة على حضور المتكلم وحضور المخاطب على حد سواء. وفيما يلي توضيح ذلك في القصيدة:

1-1 قرائن الذات المتكلمة:

يتجلى حضور الشاعر المتكلم في القصيدة، التي بين يدينا عبر مجموعة من القرائن التعبيرية، تلك التي يمكن حصرها في الظواهر التالية:

أ- الضمائر المتصلة:

لقد تمثل حضور الشاعر الأمير عبد القادر، بوصفه مرسلا للخطاب الشعري، من خلال توظيفه لضمير المتكلم (نا)، في صيغة الجمع، من مثل: ظلمنا، هودجنا، أنعامنا، لنا، لننا، خيلنا، بنا، عدونا... الخ.



التعبير الإشاري في قصيدة "البدو والحضر" للأمير عبد القادر مقاربة تداولية

د: أسماء بن عيسى - جامعة بلحاج بوشعيب عين تموشنت - (الجزائر)

فالرجل بنى أغلب قصيدته على نون الجماعة، التي توصف بنون العظمة والكبرياء، إذا لأصل فيها أن يتحدث المتكلم ومعه طرف آخر، حيث يعد ذلك معادلا موضوعيا لمقام القصيدة، ذلك أن الأمير في مقام فخرٍ، بلسان أهل الحضارة العربية جميعا. و عليه، فإنه قد أجاد انتقاء صيغة التحدث، التي تتناسب ومقام الافتخار، وإظهار عظمة البادية، في صورة فنية جميلة، تمزج بين مختلف الكائنات الحية من طبيعة و بشر، تجعل من المتلقي يعيش ما يقرأ لا شعوريا. و ما أدى إلى تحقيق هذا الانسجام، هو أن القصيدة العربية تبنى على التوزاي بين اللفظ المسبوك و المعنى المراد سواء كان مخصوصا، أي الألفاظ الدالة على كل بيت أو في عموميتها؛ بمعنى ما تحمله الصياغة لسياق القصيدة إجمالا. كما أن هذا التناغم الدلالي، بين الضمير السابق ومقام القصيدة الخارجي، وكذا سياقها الداخلي، يؤكد ما ذهب إليه إميل بنفيسست من أن " الضمائر أشكال فارغة من دون مضمون مادامت لم تدخل في السياق، لكن هذه الأشكال تجد لنفسها محتوى انطلاقا من لحظة تلفظ الشخص بها في مقام محدد"¹⁴.

ب- الضمائر المنفصلة:

على غرار الضمائر المتصلة، فإن الضمائر المنفصلة، تعبر أيضا عن حضور الذات المتكلمة للشاعر مقالا ومقاما، حيث وظف الضمير "نحن" ثلاث مرات في القصيدة بقوله: نحن فوق جباد الخيل نركضها، نحن الملوك، نحن أطول خلق الله في العمر. وعليه ما يعكس تماهيه مع الموقف التقابلي بينه وبين المتحضر، فهو في موقف جهر بأحوال البادية و أهلها، لمن صوّب أسهم الاحتقار إلى الحضارة العربية، ظلّا منه بأنها حضارة التخلّف والرجعية. و هنا أيضا يعد الضمير معادلا موضوعيا لسياق القصيدة، مما يحقق التناغم انطلاقا من المعادلة، التي تجمع بين الصوت و المقام، التي نعبر عنها كالآتي:

الدلالة الصوتية + المقام = الانسجام

فالمقام كما أسلفنا الذكر هو مقام عظمة و افتخار، الذي يستلزم الإعلان و الإخبار، و هو ما يؤثته الجهر كصفة صوتية في نحن، و الذي تكرر مرتين، ذلك أن هذا الضمير " في تكوينه الصوتي " يبدأ بحرف صفته الجهر، و ينتهي بحرف صفته الجهر"¹⁵. و إذا ما وصلنا هذا التكرار على سبيل المقاربة الدلالية بالقصيدة، فنقول بأنه قد يرتبط بإلحاح الأمير الشديد في التعريف بالبادية؛ من أجل تغيير نظرة المتحضر إليها.

ج- أفعال المضارعة:

تندرج هي الأخرى ضمن المؤشرات الإشارية، التي تؤثر على حضور المتكلم داخل السياق التواصلية للعمل الإبداعي، إذ نستدلّ على ذلك من القصيدة عبر الأفعال التالية: نباكر- نبغته- نركضها- نطارده- نلحقها- نروح- نلقى- نحمل- نبين- نبيت- نقضي.

وكما يظهر، فإن أغلب الأفعال السابقة توحى بالحركة، وهي ميزة في الأفعال عموما، بعكس الأسماء التي تدل على الثبات، إذ يتناسب هذا الاستعمال مع المعطى العام للقصيدة في أحد جوانبها. فالشاعر قد قدّم وصفا دقيقا لحياة البادية، التي تقوم أساسا على الصيد، وركوب الخيل و مواجهة العدو، وغيرها من الممارسات الحركية، التي تدلّ خفة العربي ونشاطه.

التعبير الإشاري في قصيدة "البدو والحضر" للأمير عبد القادر مقاربة تداولية

د: أسماء بن عيسى - جامعة بلحاج بوشعيب عين تموشنت - (الجزائر)

د- صيغ التملك:

تعمل صيغ التملك بدورها على إثبات الحضور الفعلي للشاعر الأمير عبد القادر، ضمن الفضاء التواصلي للأثر الشعري، حيث نذكر ما جاء منها في القصيدة على قَلْتَه: هوادجنا، أنعامنا، خيلنا. فهذه الممتلكات على بساطتها إلا أنها ذات قيمة كبيرة في حياة العربي، لما تؤديه من وظائف مهمة، لاسيما الخيل، التي يستعين بها في خوض المعارك ضدّ العدو، فهي دائما للحرب مسرّجة.

فهو وليد الصحراء، ونتاجها الطبيعي، حيث يخضع فيها لعملية انتقاء طبيعية صارمة، فلم يصمد أمام قسوة الطبيعة إلا الأجدود والأقوى والأصلح من الخيول، و لقيمته حرصت العرب على أن لا تختلط دماء خيولهم بدماء غيرها من الخيول الهجينة.

هـ- صيغ التقويم والحكم:

تحضر الذات المتكلمة للشاعر عبر صيغ التقويم والحكم أيضا، ومن أمثلتها في القصيدة: نحن الملوك فلا تعدل بنا أحداً، فنحن أطول خلق الله في العمر.

فالصيغ السابقة توحى بثقة النفس، ذلك أن العربي من سماته حبّ الذات والاعتداد بها، سواء مع بعضهم بعض، أو أمام غيرهم.

و- الصيغ الانفعالية والتعبيرية:

تُعبّر صيغ الانفعال والتعجب على حضور المتكلم داخل عملية التلّفظ الإبداعية، إذ نضرب مثالا من القصيدة قول الشاعر:

نباكرُ الصّيد أحيانا فنبغته*** فالصّيد منّا مدى الأوقات في دعر

فالانفعال - هنا - له علاقة بالضمير "منّا"، الذي يحيل على العرب عموما، بلسان ممثلهم الشاعر العربي الأصيل المتمسك بتراثه، إذ يسبون بطريقتهم الفزع و الدعر للفريسة المصطادة في أعماق الفيافي.

فلا شك أن الصّيد هواية العربي المفضّلة، التي يختلف فيها عن نظيره الغربي، ذلك أن حملات الصّيد في البيئة الغربية، تقوم على نفخ الأبواق ونباح الكلاب، بينما هي في نظيرتها العربية حركة سريعة صامتة، هدفها المباغتة، التي تجعل الصّيد يُدرَك طرادا وملاحقة¹⁶.

1-2 قرائن المخاطب أو المرسل إليه:

يستلزم منطق التواصل وجود بات ومتلقي، باعتبار العملية التواصلية لا تتحقق إلا بالطرفين معا، ومن ذلك حضورهما جنبا إلى جنب في الإبداع الشعري؛ حتى تتم عملية التبليغ والإرسال.

وعلى غرار المرسل، فإنّ المرسل إليه أو المخاطب يحضر أيضا عبر مجموعة من القرائن الإشارية والتعبيرية، التي يمكن حصرها في الوسائل اللغوية التالية:

أ- الضمائر المتصلة:

يبدو واضحا حضور المخاطب على نحو فاعل في القصيدة، وذلك من خلال مجموعة كلمات، تتصل بها ضمائر، تؤكد حضوره التلّفظي داخل سياق الأثر الشعري، حيث نذكرها فيما يلي: كنت، جهلت - أصبحت، جلت، علوت - رأيت... الخ.

التعبير الإشاري في قصيدة "البدو والحضر" للأمير عبد القادر مقاربة تداولية

د: أسماء بن عيسى - جامعة بلحاج بوشعيب عين تموشنت - (الجزائر)

وإذا ما ربطنا ذلك بمضمون النص، فإنّ الشّاعر إلى جانب الافتخار، فهو يعاتب المخاطب، ويظهر هذا بوضوح في الأبيات الأولى، حيث مزج فيها بين التّباهي والعتاب، ممّا يوحي بالدّكاء الذي يتمتّع به، فهو يدرك بأن توجيه العتاب دون إقامة الحجّة لا يُجدي نفعا.

وعلى هذا الأساس كانت حجّته في معاتبة رجل الحضارة الغربية أنّ رسم له صورة جمالية رائعة عن البيئة العربية ببساطتها وروعتها و صبحها، ما يجعل الأخير مرغما على تقبّل الأمر، ومن ثمّ قد تتغير نظرتّه إلى البادية. وتجدد الإشارة إلى أن الضمائر المنفصلة، التي تندرج هي الأخرى ضمن المؤشرات الإشارية، التي تؤشّر على حضور المخاطب لا أثر لها في هذه القصيدة .

ولعلّ ما يبرر ذلك، هو صعوبة المقام، الذي يتواجد فيه الشّاعر، والذي يرتبط بمدى خطورة الموقف وحساسيته، باعتبار الأمر - كما أسلفنا الذكر - سابقا، يتجاوز الشكل المعيشي إلى الصراع بين حضارتين متناقضتين .

ب- صيغة الفعل:

تدل بنية الأفعال بضمائرها وصيغها الصّرفية والمورفيمية على حضور المخاطب السّامع فردا أو جماعة، سواء أكانت تلك الأفعال ماضية مرتبطة بضمير المخاطب أم أفعالا مضارعة . و من أمثلة ذلك في القصيدة ماييلي: تذمّن، تمدحن، كنت(3)، تعلم، تعذرني، جهلت، أصبحت، جلت(2)، تستنشقن، علوت، رأيت، تعدل.

فما يُلاحظ إذن، هو أنّ أغلب الأفعال المقترنة بضمير المخاطب في القصيدة جاءت ماضية بمراعاة التّكرار طبعا، ذلك أن الشّاعر يخاطب المرسل إليه بما كان يفتقده في الماضي بنبرة اللوم؛ أي قبل الحكم على الحضارة العربية، وكأنه يقول له لوأنك قد رأيت كذا وفعلت كذا في البادية لم تكن لتنظر إليها بعين الازدراء.

ج- صيغ النداء:

يدخل "النداء" ضمن القرائن الإشارية الدّالة على التّخاطب؛ لأنه ضميمة اسمية تشير إلى مخاطب لتنبهه أو توجيهه أو استدعائه... وظاهر أن النداء لا يفهم إلّا إذا اتّضح المرجع الذي يشير إليه¹⁷.

وبتطبيق ذلك على القصيدة نجد بأنّها قد اشتملت على نداء واحد فقط قد جاء في مستهل أبياتها من خلال أداة النداء "يا" التي من معانيها في العربية أنّها للقريب أيضا، فضلا عن البعيد، إذ يعدّ ذلك مناسبا لمقام القصيدة، باعتبار المعنى بالرسالة حاضر أمام الشّاعر .

فالمقصود، الذي قصده الأمير عبد القادر بقصيدته هو العدو الفرنسي المدّعي للحضارة، حيث أصابه بسهم في عقر داره.

2/ الإشارات السياقية:

تنقسم المعينات السياقية أو الإحالية أو المرجعية إلى قرائن زمانية وأخرى مكانية، إذ تعمل جميعها على تشكيل النّسق التّواصلية لعملية التّلفظ القائمة بين المتكلم والمخاطب.

2-1 القرائن الزّمانية:

تعمل القرائن الإشارية الزّمانية على تأطير عملية التّواصل داخل النّطاق الزّمني، كما تعبّر أيضا عن الاندماج بين المتكلم والمخاطب داخل الزّمن النّصي والتلفظي والتّواصل¹⁸. وللإشارة فإن التّأشير الزّمني يتم بطريقتين، ترتبط إحداها؛ بتوظيف الصّيغ الزّمانية المجردة، أما الثانية فترتبط بتوظيف الأفعال الدّالة على التّزمن.

التعبير الإشاري في قصيدة "البدو والحضر" للأمير عبد القادر مقاربة تداولية

د: أسماء بن عيسى - جامعة بلحاج بوشعيب عين تموشنت - (الجزائر)

ومن أمثلة الصيغ في القصيدة: (صبح ليل-ليلا)، بينما الأفعال، مثل الفعل "نباكر" في قول الأمير: نباكرُ الصّيد أحيانا فنبغته. فالبكور، يجعل من الصّيد مقبلا على الكأ بعد هدأة اللّيل وطوله، وهو تقليد عربي ممتد عبر الزّمن، حيث نلفيه لدى الشاعر امرئ القيس، وهو أيضا أنسب الأوقات للخيل والفارس، وأنشطها على الإطلاق¹⁹.

2-2 القرائن المكانية:

تحدّد القرائن الإشارية المكانية الإطار المكاني، الذي تجري فيه عملية التّواصل والتّلفظ، وتواجد كل من المتكلم والمخاطب، سواء أكانت تلك المعينات ظروفًا للمكان كقول الشّاعر: ونحن فوق جياذ الخيل نركضها، أم أسماء للمكان مثل: الحضر، البدو، بيوتا، الصّحراء، روضة، الحي وغيرها، أم صيغا مكانية مجردة كالسماء، والحوّ.

ولعلّ ما يلفت الانتباه من القرائن المكانية السابقة هو قرينة الصّحراء ذات الوزن الكبير لدى العربي، بدليل أنّها كانت موضوعا لأوّل صورة رسمها الأمير في مستهلّ قصيدته، ومن ذكاء الأخير أنه اختار لها أروع المشاهد، وأحسنها في الطّف الأزمنة وأرقّها.

خاتمة:

لقد تبين لنا ممّا سبق، أنّ التعبير الإشاري هو من أبرز المفاهيم المحققة للغاية التّداولية، التي تتمثل كما أسلفنا الذكر في إعادة القيمة لمسألة السّياق في الدّرس اللّساني الحديث، ذلك أنه يتم من خلاله ربط الخطاب بظروف إنتاجه أي بالمرسل والمرسل إليه والمكان والزّمان.

وما هذا المفهوم سوى جزء من مفهوم أعمّ منه ألا وهو المقاربة التّلفظية أو القرائنية، إذ يشكّل حجر الأساس الذي بنيت عليه، باعتبار الأخيرة تدرس الخطاب الشّعري، في ضوء التّعبير الإشارية أو المعينات التّلفظية؛ فالقصيدة لا يمكن فهم معناها، وتمثل سياقها الخارجي والتّداولي إلا بالتركيز على عمليات التّلفظ القائمة على أطراف التّواصل والسّياق الفضائي.

وفيما يتعلّق بالأثر الشّعري الذي قمنا بدراسته فقد جاء مندجاً في الواقع ومرتبّطاً بسياقه المرجعي والتّواصلية والخارجي، حيث هيمنت التّعبير الإشارية عليه، تلك التي سهّلت للأمير مهمة إظهار منزلة البادية، وعظمة الحياة فيها.

ومنه نخلص إلى جملة من النتائج الخاصة، سواء ما تعلّق بالجانب النظري للدراسة أو التطبيقية منها، التي نختزلها في النقاط الآتية:

- رغم الظّهور المتأخّر للتّداولية إلا أنّها استطاعت أن تصنع لنفسها مكاناً تراحم به التّيارات اللّسانية الكبرى، لتشق طريقها هي الأخرى بثبات نحو الأدب.

- تعدّ نشأة التّداولية واضحة، نتيجة الثّورة على البنيوية، إذ أعادت اللّحمة بين البنية التّحوية الكامنة في اللّغة واستعملها في التّواصل، في حين يطغى الاضطراب على المصطلح والمفهوم.

- تقوم التّداولية على عدة أسس أبرزها السّياق والفعل، اللّذين أسهما على الأقل في انتشارها، في ظل نداءات عدة بعدم صلاحية هذا المنهج من بين المناهج اللّسانية.

- حققت الضمائر المتصلة تناغماً دلالياً بين الضمير، الذي اختاره الشاعر، ومقام القصيدة الخارجي، وكذا سياقها الداخلي.

- على غرار الضمائر المتصلة، فإنّ الضمائر المنفصلة تعبّر أيضاً عن حضور الدّات المتكلمة للشاعر مقالا ومقاماً، حيث يعدّ الضمير المنفصل أيضاً معادلاً موضوعياً لسّياق القصيدة، ممّا يحقق التناغم انطلاقاً من المعادلة التي تجمع بين الصوت والمقام.

- حققت أفعال المضارعة تقاطعاً دلالياً، في ضوء المعطى الحركي، الذي تناسب مع أحد جوانب السّياق المعرفي للقصيدة.

التعبير الإشاري في قصيدة "البدو والحضر" للأمير عبد القادر مقاربة تداولية

د: أسماء بن عيسى - جامعة بلحاج بوشعيب عين تموشنت - (الجزائر)

-اشتغلت كل من صيغ التملك، وصيغ التقويم والحكم، وكذا الصيغ الانفعالية والتعبيرية على إثبات الحضور الفعلي للشاعر، والتي لم تخرج بدورها عن دائرة المقصود من الأثر الشعري.
-عملت قرائن المخاطب أو المرسل إليه، ضمن منطق العملية التواصلية الثنائي على نحو فاعل في القصيدة، مما يؤيد الغرض، الذي سيقى لأجله.
-وختاما عملت الإشارات السياقية على تشكيل النسق التواصلية لعملية التلغظ القائمة بين المتكلم أي الشاعر والمخاطب المقصود، ضمن سياق دلالي معيّن.

الهوامش:

1. ينظر: بوقرة عمر، التحول اللساني من البنيوية إلى التداولية، مجلة جسور المعرفة، الشلف، الجزائر، العدد 3، 2015، ص: 46.
2. حسن يوسف، المسرح و التداولية، الموقع التالي:
<https://maakom.com/article/lmsrh-wltdwly>، 2010/5/5، تاريخ الدخول إلى الموقع: 2021/03/6، الساعة 20:15.
3. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة (بيروت)، ط 1، 2005، ص: 5.
4. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة (الجزائر)، ط 2، 2012، ص 5 وما بعدها.
5. المرجع نفسه، ص 64.
6. عدنان بن ذريل، اللغة و الأسلوب دراسة، مراجعة و تقديم: حسن حميد، دار مجدلاوي (دم)، الطبعة الثانية المنقحة، 2006، ص: 84.
7. الأزهر الزتاد، نسيج النص، المركز الثقافي العربي (بيروت)، ط 1، 1993، ص: 116.
8. كاظم جاسم منصور العزاوي، التعبير الإشاري في (الخصبي) مقاربة تداولية، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، المجلد 24، العدد 1، 2016، ص: 73.
9. ينظر: جميل حمداوي، "من أجل مقارنة قرائنية لديون (غنج المجاز) لجمال أوزراغيد، الموقع التالي:
<http://www.almothaqaf.com/qadaya2009/49180.html>
2011/05/27، تاريخ الدخول إلى الموقع: 2021/06/06، الساعة 20:17.
10. المرجع نفسه.
11. ينظر القصيدة ضمن الموقع التالي:
<https://www.aldiwan.net/poem47689.html>
دون تاريخ النشر، تاريخ الدخول إلى الموقع: 2021/03/06، الساعة 20:19.
12. ينظر: الكاتب رحال 60، المكان جماليا في الشعر العربي، الموقع التالي:
<http://www.startimes.com/?t=28878394>، 2011/08/15، تاريخ الدخول إلى الموقع: 2021/03/06، الساعة 20:21.

التعبير الإشاري في قصيدة "البدو والحضر" للأمير عبد القادر مقاربة تداولية

د: أسماء بن عيسى - جامعة بلحاج بوشعيب عين تموشنت - (الجزائر)

13. ينظر: المرجع نفسه.
14. كاظم جاسم منصور الغزاوي، التعبير الإشاري في (الحصبي) مقارنة تداولية، ص75.
15. عصام عبد الله محمد، الضمير ودوره في إثارة انتباه السامع، مجلة العلوم الإنسانية، عمادة البحث العلمي، السودان، مجلد15، العدد4، 2014، ص112.
16. ينظر: المكان جماليا في الشعر العربي، الموقع المذكور سابقا.
17. ينظر: محمود أحمد نخلة، "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر"، دار المعرفة الجامعية (مصر)، (د.ط)، 2002، ص:19.
18. ينظر: جميل حمداوي، "قصيدة (نشيد الجبار) لأبي القاسم الشّابي في ضوء المقاربة القرائية أوسيميوطيقا التّلفظ"، الموقع التالي:
<http://www.almothaqaf.com/qadaya2009/68052.html>
2012/10/16، تاريخ الدخول إلى الموقع: 2021/03/06، الساعة 20:23.
19. ينظر: المكان جماليا في الشعر العربي ، الموقع المذكور سابقا.

المراجع:

أولا/ الكتب المؤلفة:

1. الأزهر الزناد، نسيح النص، المركز الثقافي العربي (بيروت)، ط1، 1993.
2. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة (الجزائر)، ط2، 2012.
3. عدنان بن ذريل، اللغة و الأسلوب دراسة، مراجعة و تقديم: حسن حميد، دار مجدلاوي (د.م)، الطبعة الثانية المنقحة، 2006.
4. محمود أحمد نخلة، "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر"، دار المعرفة الجامعية (مصر)، (د.ط)، 2002.
5. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة (بيروت)، ط1، 2005.